بواعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين لما بعد الموت من القرآن والسنة

دراسة عقدية

دكتورة/ حياة بنت يوسف منصور الصبياني

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية أصول الدين-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي طمأن المؤمنين بقوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] وجعلهم على بينة مما يقدمون عليه بعد موتهم، فمن رحمة الله -تعالى- بعباده المؤمنين أن بين لهم ما تطمئن به نفوسهم وتقر له أعينهم، مما يكون من لطف الله -تعالى- بهم عند الموت وبعده، الأمر الذي يجعل المؤمن في طمأنينة نفس وراحة بال، وشوق إلى لقاء ربه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، فالمؤمن يعلم ما ينتظره بعد الموت؛ فيعد العدة لذلك، ويستحث الخطى في تحقيق الإيمان الخالص والعمل الصالح؛ ليكون في جملة المؤمنين الموعودين بذلك، على خلاف بعض الديانات والفلسفات التي يكون فيها أمر الخلاص والدينونة مختلطا، ضبابيا، مجهولا، يكتنفه الغموض والأخبار غير المعقولة، مثل: فكرة التناسخ، والكارما[1] عند الوثنيين، والصلب والفداء عند النصارى[2].

وإن مما يشكو منه بعض هذا الجيل من المسلمين ما يعرف عند علماء النفس بـــ (وسواس الخوف من الموت) الذي يأخذ صورا شتى ودرجات مختلفة، بدءًا من القلق والخوف والتوجس، وصولا إلى الحزن والاكتئاب والعزلة والانطواء؛ خوفا من الموت، وهلعا من فكرة أن يرحل عن دنياه وأهله وحياته، أو أن يفقد من يحب من أهله وذويه، أو خوفا من الألم والوحدة التي يظن أنه سيعاني منها بعد الموت لا محالة.

ولا شك أن الخوف من الموت وكراهته أمر طبعي في نفوس البشر، يقول الله -تعالى-في الحديث القدسي: "وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ،

١ينظر: فلسفة الكارما وموقف الإسلام منها، مريم الحوشاني، ص٢٤٥.

٢ ينظر: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ منقذ السقار، ص١٩٩.

يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ"[1]. ولكن المبالغة فيه إلى حد المرض وتعطيل الحياة مذموم، وربما وضع صاحبه في دائرة القنوط وسوء الظن بالله –تعالى– يقول ابن الجوزي(٥٩٧ه): "فأما الخوف من الموت والفكر فيه، فإنه لا سبيل إلى دفعه عن النفس، وإنما يخفف الأمر العلم بأنه لابد منه، فلا يفيد الحذر إلا زيادةً على المحذور، وكلما تصورت شدته كانت كل تصويرة موتًا، فليصرف الإنسان فكره عن تصور الموت؛ ليكون ميتًا مرةً واحدة لا مرات، ويكون صرف الفكر ربحًا، وليعلم أن الله –تعالى– قادر على تهوينه إذا شاء، وليوقن بأن ما بعده أخوف منه؛ لأن الموت قنطرة إلى منزل إقامة، وإنما ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الموت؛ ليعمل له، لا لنفس تصويره وتمثيله"[2].

ومن هذا الباب، وقع اختياري على الكتابة في هذا الموضوع الذي جعلت عنوانه: بواعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين لما بعد الموت من القرآن والسنة –دراسة عقدية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١–صلة هذا الموضوع بالركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر.

٢–أثر هذه البواعث في حياة المؤمن.

٣–دور هذه البواعث في علاج من يعاني من قلق الموت المرضي.

أسئلة البحث:

ما بواعث الطمأنينة لما بعد الموت في نفوس المؤمنين من القرآن والسنة؟

من ينتفع من هذه البواعث؟ ومن يطمئن إليها؟

أهداف البحث:

١–تجلية مطمئنات المؤمن لما بعد الموت من القرآن والسنة.

٢–الإسهام في نشر ما يطمئن المؤمن ويسليه في الحياة الدنيا وفق النصوص الشرعية.

٣–بيان سبل الانتفاع بهذه المطمئنات في سياق النصوص الشرعية.

الدراسات السابقة:

وجدت عناوين مقاربة لفكرة هذا البحث، ولكنها مختلفة معه في المضمون، فقد وجدت بحثا بعنوان: (البشارة بالجنة عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم دراسة عقدية: مع دراسة وتحقيق كتاب تحقيق الإشارة إلى تعميم البشارة للشيخ عبد الحق بن سيف الدين

١ أخرجه البخاري، برقم (٦٥٠٢).

٢ اللطائف والطب الروحاني، ص ١٢١ –١٢٢.

الدهلوي ٩٥٨ -١٠٥٢هـ) لهدى الحميد، رسالة ماجستير،١٤٣١هـ، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي كما يظهر من عنوانها في البشارة بالجنة بين أهل السنة ومن خالفهم، ولم تتطرق لما تناوله هذا البحث. كما وجدت مقالا صغيرا في سبع ورقات منشورا على شبكة الألوكة بعنوان (مبشرات المؤمن في الدنيا والبرزخ والآخرة)، لمحمد بديع موسى[١]، تحدث فيه عن المبشرات في الدنيا، وعرض فيه إجمالا لبعض ما بشر به المؤمن عند الاحتضار وفي القبر وفي يوم القيامة، ولكنه محدود في ذكر ما جاء في الشرع بصيغة البشارة، ولم يتطرق إلى ما عدا ذلك مما أخبرت به النصوص مما يكون للمؤمن في الآخرة، ويكون سببا لطمأنته في الحياة الدنيا لما بعد موته.

منهج البحث:

اعتمدت في البحث المنهج الاستقرائي الوصفي الاستدلالي؛ حيث قمت باستقراء الأدلة، ووصف المسألة محل الدراسة، والاستدلال عليها من الكتاب أو السنة.

إجراءات البحث:

١-استقراء الأدلة من الكتاب والسنة في اليوم الآخر؛ لاستخلاص ما يبعث الطمأنينة في نفس المؤمن لما بعد الموت.

٢-كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣-تخريج الأحاديث، فإذا كان الحديث في الصحيحين؛ اكتفيت بتخريجه من أحدهما، وإذا لم يكن فيهما: خرجته من بعض مظانه، وذكرت ما وقفت عليه من حكم المتقدمين أو المتأخرين عليه.

٤-توثيق النقول من مصادرها، فأذكر: اسم الكتاب، والمؤلف، ورقم الجزء والصفحة، وعند تكرر المرجع، أكتفي بذكر الكتاب دون مؤلفه.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، وتسعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة البحث.

المبحث الأول-الطمأنينة التي يحدثها الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني-الطمأنينة بوعد الله لأهل التوحيد بالأمن يوم القيامة.

المبحث الثالث-الطمأنينة بعدل الله -تعالى-، وتنزهه عن الظلم.

---

١ ينظر المقال عبر الرابط: https://www.alukah.net/sharia/

المبحث الرابع–الطمأنينة بما جاءت به النصوص في وصف حال المومن عند موته، وفي قبره حتى تقوم الساعة.

المبحث الخامس–الطمأنينة بورود حوض النبي محمد ﷺ والشرب منه.

المبحث السادس–الطمأنينة بشفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

المبحث السابع–الطمأنينة بمغفرة الله –تعالى– ورحمته وستره لعباده المؤمنين.

المبحث الثامن–الطمأنينة بما وُعد به المؤمن من أجور.

المبحث التاسع–الطمأنينة بوعد الله للمؤمنين بدخول الجنة، وما فيها من النعيم المقيم.

المبحث الأول-الطمأنينة التي يحدثها الإيمان باليوم الآخر[1]

لما كان الموت حقًّا لا ريب فيه، لقوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]، واقعًا على جميع الخلائق ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فإن الإيمان باليوم الآخر، وأن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة وفق الأدلة من الكتاب والسنة، يورث الهداية والطمأنينة في نفس المؤمن وفكره في حياته الدنيوية، ومن ذلك أن إيمانه بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، يورثه إجابة صادقة واضحة عن أحد الأسئلة الكبرى التي شغلت عقول الناس-وهو السؤال عن المصير والمعاد وما ينتظر الإنسان بعد موته-وهو ما يعد من أكبر بواعث الاطمئنان في نفس المؤمن، ذلك أن الكتاب والسنة أوضحت ما ينتظر النفس بعد موتها في البرزخ وما فيه من نعيم وعذاب، والبعث والنشور، ونشر الصحف والجزاء، والحساب، وضمانة استيفاء الحقوق، ووضع الموازين، والصراط، والقنطرة، والحوض، والشفاعة، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وغير ذلك من مراحل الآخرة، كل ذلك يجعل المؤمن يعلم ما ينتظره، وينشئ في نفسه اليقين، ويبدد عنها الشك والحيرة والقلق، بخلاف كثير من آراء النحل والديانات والفلسفات الأخرى، التي يكتنفها الخلط والغموض وعدم وضوح الرؤية في تحديد مصير الإنسان بعد موته، أو تلك التي تقول بالتناسخ والتحول إلى كائنات أخرى، أو تلك التي تقول بالعدمية والفناء التام، مما يبعث الخوف والقلق وعدم الاطمئنان لذلك المصير، فالمؤمن مطمئن أن الموت ليس النهاية، بل بداية لحياة الآخرة: الحياة الحقيقية الدائمة، قال -تعالى-: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤] وأنه سينشأ لها نشأة أخرى تليق بمقاماتها العالية، من جوار الرحمن، والنظر إلى وجهه الكريم، ورؤية من سبق المؤمن من الأنبياء والصالحين، والالتقاء بأهله وأصحابه وعموم المؤمنين، ممن سبقه في الموت أو ممن سيلحق به، وانتهاء التكاليف، واستلام الأجور، والعيش في نعيم مقيم.

ومن جانب آخر، فإن الإيمان باليوم الآخر؛ يبعث الرجاء والخوف في قلب المؤمن، وهما الحالتان اللتان يجب على المؤمن أن يقيم حاله في الدنيا بينهما، بل لا يستقيم حاله إلا بهما، وبهما يتحقق له الاطمئنان التام، فرجاؤه يحمله على فعل الطاعات؛ رجاءً لثواب ذلك اليوم، وخوفه يحمله على ترك المعاصي؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم، ولا شك

---

١ ينظر: الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع، مازن بن محمد بن عيسى، ص١٥٧-١٧٩.

أن هاتين الحالتين هما من أعظم بواعث الطمأنينة في قلب المؤمن، إذ إنه يعمل بموجبهما ما يجعله قائما بالأسباب المنحية، متعرضا لرحمة الله وفضله، بعيدا عن موجبات السخط والعقوبة، قال -تعالى-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: "كيف تجدك"، قال: أرجو الله يا رسول الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، الا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف"[1]، وقال-تعالى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]

كما أن الإيمان باليوم الآخر يورث المؤمن الاعتدال في حال السراء والضراء، فلا تطغيه النعمة، ولا تقنطه المصيبة، مستحضرا قول الرسول ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد غير المؤمن، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له"[2]، وبذلك لا ينزعج لحلول مكروه، أو فوات محبوب؛ لأنه يرجو العوض من الله -عز وجل -فيدعوه ذلك إلى السلو، والراحة، وترك التسخط[3].

فلا تضطرب نفس المؤمن، ولا تذهب نفسه حسرات على ما يفوته من حظوظ الدنيا، لاسيما ما يتقلب فيه الكافرون وأهل المعاصي من متاع الحياة الدنيا؛ لأنه مؤمن بما أعد الله له في اليوم الآخر، ولهذا قال النبي ﷺ: " لا تَلْبَسوا الحريرَ ولا الدِّيباجَ، ولا تَشْرَبوا في آنيةِ الذَّهبِ والفِضَّة، ولا تأكلوا في صِحافِها؛ فإنَّها لهم في الدُّنيا، ولنا في الآخِرةِ "[4]، ولما بكى عمر بن الخطاب ﷺ لما رأى أثر الحصير في جنب الرسول ﷺ، فقال له ﷺ: "ما يُبكيك يا بنَ الخطَّاب؟ فقال: يا نبيَّ اللهِ وما لي لا أبكي! وهذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبِك وهذه خِزانتُك لا أرَى فيها إلَّا ما أرَى، وذاك كسرَى وقيصرُ في الثِّمارِ والأنهارِ، وأنت نبيُّ اللهِ وصفوتُه وهذه خِزانتُك، قال: يا بنَ الخطَّابِ أما ترضَى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا" [5].

---

١ أخرجه الترمذي، برقم (٩٨٣)، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٣٨٣) وقال: حديث حسن صحيح.

٢ أخرجه مسلم، برقم (٢٩٩٩).

٣ ينظر: الإيمان باليوم الآخر، محمد الحمد، ص٧-٩.

٤ أخرجه البخاري، برقم (٥٤٢٦).

٥ جزء من حديث طويل. أخرجه مسلم، برقم (١٤٧٩).

المبحث الثاني–الطمأنينة بوعد الله –تعالى–بالأمن المطلق لأهل التوحيد.

إن من أعظم بواعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين لما ينتظرهم بعد الموت: كونهم مؤمنين موحدين، فإن الله –سبحانه وتعالى–قد وعد المؤمنين الموحدين بمغفرة الذنوب والتجاوز عن السيئات والأمن فى الدنيا وفى الآخرة، قال –تعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]

إن أهل التوحيد موعودون من الله –تعالى–بالأمن عند الفزع الأكبر يوم القيامة، قال –تعالى–: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٣]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شَقَّ ذلكَ علَى أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، وقالوا: أيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فقال رَسولُ اللَّه ﷺ: ليسَ كما تَظُنُّونَ، إنَّما هو كما قال لُقْمانُ لِابْنِه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣] "[1].

وعن مُعاذ بن جبل ﷺ قال: كنتُ رديف النبيِّ ﷺ على حمارٍ فقال لي: "يا معاذ، أتدري ما حقّ الله على العباد؟ وما حقّ العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقَّ العباد على الله ألا يُعذِّب مَن لا يُشرك به شيئًا"[2].

وبقدر الأمن يكون الاطمئنان، وبقدر البعد عن الظلم يكون الحظ من الأمن، قال السعدي:" قال الله –تعالى– فاصلا بين الفريقين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢] الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم

١ أخرجه البخاري، برقم (٦٩٣٧).

٢ أخرجه البخاري، برقم (٢٨٥٦).

أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية الكريمة: أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء[1]".

"وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمن، ومنّ به على من شاء من عباده، الذي يهب الأمن لعباده المؤمنين يوم القيامة، ويأمن عذابه من لا يستحقه كما قال –سبحانه–: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]

وهو سبحانه المؤمن الذي وهب عباده الأمن من الفزع الأكبر، وأمّنهم بخلق الطمأنينة فى قلوبهم، وأخبرهم أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال–سبحانه–: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾ [النمل: ٨٩–٩٠]"[2].

فالموحد يُؤَمّن من العذاب إما مطلقاً فلا يدخل النار، وإما يُؤَمّن من العذاب المؤبّد، فالله –تعالى–يمنح الأمن للمؤمنين على حسب درجاتهم في التوحيد والسلامة من الذنوب والمعاصي.

"فهذان لهم الأمن التام، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، فالكل للكل، والحصة للحصة؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبه من المعاصى وعقوباتها، فلم يلق ربه بذنب يعاقب به، كما قال –تعالى–: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء: ١٤٧]"[3].

المبحث الثالث–عدل الله –تعالى–وتنزهه عن الظلم:

العدل صفة من صفات الله –عز وجل–الذاتية، فهو –تعالى– لم يزل ولا يزال متصفا بها، فهو ذو العدل والقسط أزلا أبدا، قال الخطَّابيُّ(٣٨٨ه): "العَدْلُ: هو الذي لا يَميلُ به الهوى فيَجورُ في الحُكمِ. وأصلُه المصدَرُ؛ مِن قَولِك: عَدَل يَعْدِلُ عَدْلًا، فهو عادِلٌ، أُقيمَ مقامَ الاسمِ، وحقيقتُه ذو العَدْلِ"[4].

وقال الحليميُّ(٤٠٣ه): "العَدْلُ: ومعناه: لا يَحكُمُ إلَّا بالحَقِّ، ولا يَقولُ إلَّا الحَقَّ، ولا يَفعَلُ إلَّا الحَقَّ، والحَقُّ هذا يلزمُ الاعترافُ به، هكذا ينبغي أن يكونَ"[5]، قال –تعالى–: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥]

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٦٣.

٢ موسوعة فقه القلوب، محمد التويجري (١٥٠/١).

٣ ينظر: التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ص١٣.

٤شأن الدعاء، ص٦٢.

٥ المنهاج في شعب الإيمان (٢٠٧/١).

"فَالْمُرَادُ صِدْقًا فِي أَخْبَارِهِ، وَعَدْلًا فِي أَحْكَامِهِ؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ -تعالى- إِمَّا أَخْبَارٌ، وَهِيَ كُلُّهَا فِي غَايَةِ الصِّدْقِ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَكُلُّهَا فِي غَايَةِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا جَوْرَ فِيهِ؛ لِابْتِنَائِهَا عَلَى الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ"[1]، وعن الرسول ﷺ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، في شأن الذي اعترض على قسمة رسول الله ﷺ: "فَقال: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"[2].

قال ابنُ القَيِّمِ في نونيته:

والعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ ... وَمَقَالِهِ وَالحُكْمِ فِي المِيزَانِ [3]

كما نزه الله -تعالى-نفسه عن الظلم في مواطن متعددة من القرآن الكريم، منها قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠]

وقوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤] وقوله -تعالى-: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] وقال -تعالى-: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ [ق: ٢٩] " يعني لا أحد يستطيع أن يبدل قولي؛ لأن الحكم لله – عز وجل – وحده، فإذا كان الله -تعالى- قد وعد فهو صادق الوعد -سبحانه تعالى- وأما الإيعاد فقد يغفر ما شاء من الذنوب إلا الشرك: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ يعني: لست أظلم أحداً، وكلمة (ظلاَّم) لا تظن أنها صيغة مبالغة، وأن المعنى أني لست كثير الظلم، بل هي من باب النسبة، أي: لست بذي ظلم، والدليل على أن هذا هو المعنى، وأنه يتعين أن يكون هذا المعنى قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ [النساء: ٤٠] ويقول -تعالى-: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢] ويقول -تعالى-: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]، والآيات في هذا كثيرة، أن الله لا يظلم، بل إننا إذا تأملنا وجدنا أن فضل الله وإحسانه أكثر من عدله، جزاء سيئة سيئة مثلها، وجزاء حسنة عشرة أمثالها، ولو أردنا أن نأخذ بالعدل لكان السيئة بالسيئة، والحسنة بالحسنة، لكن فضل الله زائد على عدله -عز وجل -فهو –

---

١ شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص١٥١.

٢ جزء من حديث أخرجه البخاري، برقم (٣١٥٠).

٣ نونية ابن القيم، ص٣١٠.

وسبحانه تعالى- يجزي بالفضل والإحسان لمن كان محسناً، وبالعدل بدون زيادة لمن كان مسيئًا ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]" [1].

ومن عدله وحكمته -سبحانه وتعالى-أنه لا يُسوِّي بين عباده في العطاء، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المحسن والمسيء؛ فإنَّ التَّسْوِيةَ بينهما منتهى الظُّلم، قال -تعالى-: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]

"فلا يخاف العبدُ جورًا ولا ظُلمًا يوم القيامة؛ بل هو مطمئن إلى أن الله -سبحانه وتعالى-هو العادل في الحكم بين العباد، فسيحكم فيهم وبينهم بعدله وقسطه؛ فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها؛ فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه" [2].

فإذا التزم المؤمن بما أُمر به؛ فليثق بوعد الله -تعالى-وليطمئن به، قال -تعالى-:﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران: ١٠٨] قال السعدي في تفسير هذه الآية: "نفى إرادته ظلمهم، فضلا عن كونه يفعل ذلك، فلا ينقص أحدا شيئا من حسناته، ولا يزيد في ظلم الظالمين، بل يجازيهم بأعمالهم فقط" [3]، وقال ابن كثير في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤] "إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله -تعالى- وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخيرًا، وإن شرا فشرًّا، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله -تعالى- وقوله -تعالى-: ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] قال علماء التفسير: فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته". [4]

المبحث الرابع-الاطمئنان بما جاءت به النصوص في وصف حال المومن عند موته وفي قبره حتى تقوم الساعة.

لقد جاء الخبر في النصوص الصحيحة بوصف حال المؤمن عند موته وفي قبره، مما يشكل في مجمله بشارات للمؤمن، والإيمان بهذه البشارات من بواعث الطمأنينة الأكيدة في نفس المؤمن بالله واليوم الآخر، وتورث الاطمئنان لما بعد الموت، ومن ذلك:

١ تفسير ابن عثيمين، ص١٠٣.
٢ تفسير السعدي، ص١٨٥.
٣ المرجع السابق، ص١٤٢.
٤ تفسير ابن كثير (٣٤٥/٣).

١-الاطمئنان ببشارة الملائكة للمؤمن عند موته، ومن ذلك أن الملائكة تتنزل على المؤمنين عند الموت تبشرهم بلقاء الله، ونعيم الجنان، وتطمئنهم على ما خلفوا وراءهم، وفى ذلك يقول الله -تعالى-:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

قال الطبري:" إنَّ الَّذينَ قالوا ربُّنَا اللَّهُ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ثُمَّ اسْتَقَامُوا على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى ... {تَتَنَزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ} يقول: تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم...وعنى بقوله: { أَلا تَخَافُوا }ما تقدمون عليه من بعد مماتكم {وَلاتَحْزَنُوا} على ما تخلفونه وراءكم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...عن السديِّ: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ قال: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما بعدكم....عن مجاهد، قوله: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ قال: لا تخافوا ما تقدُمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم من دنياكم من أهل وولد، فإنا نخلُفكم في ذلك كله"[١].

٢-الاطمئنان بالبشارة التي دلت عليها الأدلة من الكتاب والسنة، من سهولة خروج نفس العبد المؤمن وهي مطمئنة-بخلاف روح الكافر التي تتفرق في الجسد؛ فتُنزع بشدة-وأنها تخرج كأطيب نفحة مسك وجدت، والبشارة بالمغفرة والرضوان، قال الله -تعالى-في حق المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢] وقال -تعالى-:﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

قال ﷺ: " المؤمنُ بخيرٍ علَى كلِّ حالٍ تنزعُ نفسُهُ من بينِ جنبيهِ وَهوَ يَحمدُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ "[٢].

وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم

١ تفسير الطبري (٢٠/٤٢١-٤٢٧).

٢ أخرجه النسائي في سننه، برقم (١٨٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٦٥٢).

يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السِّقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيُفتح لهم فيُشيِّعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأَعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى، قال: فتُعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيُجلسانه..."[1].

وقال –تعالى–: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٤] قال الطبري بعد أن ذكر الأقوال في تفسير هذه الآية:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله –تعالى ذكره– أخبر أنّ لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله...، ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال –جل ثناؤه–: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه –جل ثناؤه–: أن لهم البشرى في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة. وأما قوله: {لا تبديل لكلمات الله}، فإن معناه: إن الله لا خُلْفَ لوعده، ولا تغيير لقوله عما قال، ولكنه يُمْضي لخلقه مواعيدَه وينجزها لهم"[2].

قال زيد بن أسلم(١٣٦ه): يبشر المؤمن بالجنة عند موته، وفي قبره، ويوم يبعث؛ فإنه لفي الجنة وما رميت فرحة البشارة من قلبه[3].

---

١ أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/٤٩٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٦٧٦).

٢ تفسير الطبري (١٢/٢٢٥).

٣ ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (٢٣/٧).

٣-الاطمئنان ببشارة الله للمؤمن بالثبات عند سؤال الملكين في القبر، وبرد عقله إليه؛ فيتمكن المؤمن من الإجابة، والطمأنينة بالبشارة أنه سينعم فى قبره حتى تقوم الساعة، قال -تعالى-: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال ﷺ: "إذا أقعد المؤمن في قبره أُتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت " .[١]

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-أن رسول الله ﷺ ذكر فتّان القبر، فقال: عمر: أتَرَدُّ علينا عقولنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: نعم كهيئتك اليوم، فقال: عمر: بفيه الحجــر"[٢].

ومما جاءت به النصوص أن المؤمن يجلس في قبره غير فزعٍ قبل السؤال، فعن الرسول ﷺ أنه قال: "فأما فتنة القبر فبي يفتنون وعني يسألون، فإذا كان الرجل الصالح، أجلس في قبره غير فزعٍ ولا مشعوف، ثم يقال له: فما كنت تقول في الإسلام؟ فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله جاء بالبينات من عند الله؛ فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم تفرج له فرجة إلى الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله..."[٣].

ومن تلك البشارات أن قبر المؤمن يملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، قال ﷺ: " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، حتى أنه يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون"[٤].

"وأما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره أضلاعه حتى تختلف"[٥].

---

١ أخرجه البخاري، برقم (١٣٦٩).

٢ أخرجه أحمد في مسنده (١٧٥/٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٣٥٥).

٣ أخرجه ابن ماجه، برقم (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٣٥٥٧).

٤ أخرجه مسلم، برقم (٢٨٧٠).

٥ أخرجه البخاري، برقم (١٣٣٨).

المبحث السادس–الاطمئنان بورود حوض النبي محمد ﷺ والشرب منه.

الحوض مجمع عظيم للماء، وهو ثابت للنبي ﷺ يوم القيامة بالسنة والإجماع[١]، والأحاديث في ثبوته كثيرة، قال ابن القيم(٧٥١ه): " قد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة ﷺ، وكثير منها، أو أكثرها في الصحيح "[٢]، منها قوله ﷺ: "حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ؛ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ"[٣]، يرده المؤمنون من أمته يوم القيامة، ويشربون من ماءه، الذي وصف في السنة بأنه "أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثلج وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ باللبن"[٤]، وفي لفظ: " وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ الْوَرِقِ"[٥]، " مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ بعده أَبَدًا"[٦]، ويلتقون بنبيهم ﷺ، حيث بشرهم بذلك، فقال ﷺ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ"[٧]، والفرط: هو الذي يسبق إلى الحوض، ولا شك أن انتظار هذا الموعد من بواعث الاطمئنان في الدنيا والآخرة، فإذا ورد المؤمن للحوض وشرب منه يوم القيامة؛ زادت طمأنينته وأمّل خيرا فيما ينتظره من مراحل وعرصات، قال النَّبي ﷺ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا..."[٨]، وعن عقبة بن عامر ﷺ: " أن النَّبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: "إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ".[٩]

وينبغي أن يُعلم أن من أسباب ورود الحوض وحيازة هذا الفضل؛ التمسك بالكتاب والسنة: اعتقادا وقولا وعملا، قال ﷺ:" "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض"[١٠].

والبعد عن البدع والمحدثات، فإنه يُرد عن ورود الحوض المبتدعة، وكل من أحدث في دين الله مالم يأذن به، كما تقدم قوله ﷺ: "لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ"[١١]، وقوله ﷺ: " إِنِّي عَلَى الحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَن يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُمْ، فَوَاللَّهِ

---

١ ينظر: اعتقاد أئمة أهل الحديث، أبو بكر الإسماعيلي، ص٦٨.

٢ وقال السيوطي: " ورد ذكر الحوض من بضعة وخمسين صحابيًا منهم: الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفّاظ الصحابة المكثرون، رضوان الله عليهم أجمعون "حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٢٧٥٦).

٣ أخرجه مسلم برقم (٢٣٠٠).

٤ أخرجه مسلم، برقم (٢٤٧).

٥أخرجه مسلم، برقم (٢٢٩٢).

٦ تقدم تخريجه.

٧أخرجه البخاري، برقم (٧٠٥٠).

٨ تقدم تخريجه

٩ أخرجه البخاري، برقم (١٣٤٤).

١٠ أخرجه البزّار، برقم (٨٩٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٢٣٢).

١١ تقدم تخريجه.

لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي! فيَقولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي ما عَمِلُوا بَعْدَكَ؛ ما زَالُوا يَرْجِعُونَ علَى أَعْقَابِهِمْ "[1].

فعلى المسلم التمسك بالسنة؛ ليحوز هذا الفضل، وتطمئن نفسه بهذا الوعد، ويحذر من البدع والمحدثات، فإن العقيدة والدين الحق المقبول ما كان عليه ﷺ وأصحابه في عهده، وكلّ من أتى بشيءٍ جديدٍ فإنّه لا يأمَن أن يكون داخلا في قوله ﷺ: "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"[2].

قال ابن عبد البر(٤٦٣هـ):" وكلُّ من أحدَثَ في الدِّينِ ما لا يرضاهُ اللَّه، ولم يأذن به اللَّه، فهُو من المطرُودينَ عن الحوضِ، المُبعدين عنهُ ... وأشدُّهُم طردًا، من خالَفَ جماعةَ المُسلمينَ، وفارَقَ سبيلهُم مثلَ: الخَوارِجِ على اختلافِ فِرَقِها، والرَّوافضِ على تبايُنِ ضلالِها، والمُعتزلةِ على أصنافِ أهوائها، فهؤُلاءِ كلُّهُم مُبدِّلُون، وكذلك الظَّلَمةُ المُسرِفُونَ في الجَوْرِ والظُّلم، وتَطميسِ الحقِّ، وقَتلِ أهلِه، وإذلالِهم، والمُعلِنُونَ بالكبائرِ، المُستخفُّونَ بالمعاصِي، وجميعُ أهلِ الزَّيغ والأهواءِ والبِدَع، كلُّ هؤُلاءِ يُخافُ عليهم أن يكونُوا عُنُوا بهذا الخبرِ "[3].

وقال القرطبي(٦٧١ه): " قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتدَّ عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم: كالخوارج على اختلاف فرقها، والرَّوافض على تباين ضلالها... وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفّون بالمعاصي"[4].

ومن أسباب ورود الحوض كذلك، الصبر على ما يصيب المؤمن من نقص في الدنيا، واستئثار غيره بها، لقوله ﷺ: " أنَّ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ قال: يا رَسولَ اللَّهِ، ألَا تَسْتَعْمِلُنِي كما اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ قال: سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ "[5].

ومن أسباب ورود الحوض كذلك، خلوص القلب من الغش والغل لخيرة هذه الأمة صحابة رسول الله ﷺ فإنّ النبي ﷺ معه من أحب، ومن أحبه من صحابته الكرام رضوان الله –تعالى–عنهم، وإذا كان كذلك؛ فلا يجوز لأحد أن ينتقد الصحابة، أو أن

---

١ أخرجه مسلم، برقم (٢٢٩٤).

٢ ينظر: شرح العقيدة الطحاوية صالح ال الشيخ ص١٩٦.

٣ التمهيد، (١٠٨/١٣). وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٣٦/٣-١٣٧).

٤ انظر: التذكرة للقرطبي، ص ٣٠٦.

٥ أخرجه البخاري، برقم (٧٣٩٢).

يُبغض بعضاً منهم، بل يجب عليه أن يحب الجميع، فلعله أن يحشر في زمرتهم، وأن يرد حوض النبي ﷺ معهم[1].

فيجب على المسلم أن يلتزم بأسباب ورود الحوض، ويبتعد عن أسباب الطرد والإبعاد؛ لعل الله–تعالى–أن يكرمه بورود حوض نبيه والشرب منه، قال السفّاريني(١١٨٨ه): "عنه يُذادُ المفتري كما ورد ومن نحا سبل السلامة لم يُرَد"[2].

المبحث السابع–الاطمئنان بشفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته[3].

من بواعث الاطمئنان في نفوس المؤمنين لما بعد الموت الشفاعة الثابتة في القرآن الكريم والسنة لأهل التوحيد، قال رسول الله ﷺ: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأُرِيد أن أَختَبِئ دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة"[4]، وقال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[5].

وسُئل النبي ﷺ: من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: "أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا مِن قلبه، أو من نفسه"[6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٧٢٨ه): "ومذهبُ سلف الأمة وأئمتها، وسائرِ أهل السنة والجماعة: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والقول بأنه يخرج من النار مَن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأيضًا فالأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الشفاعة، فيها استشفاعُ أهل الموقف ليُقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر، وهذا فيه نوعُ شفاعة للكفار"[7].

والتوحيد الخالص سبب لحصول الرضا من الله –تعالى–عن المؤمن، فالله –تعالى–لا يرضا إلا عن الموحد، والرضا والإذن هما شرطي حصول الشفاعة وتحققها، وبهذين الشرطين يثبت أهل السنة والجماعة الشفاعة للمؤمنين، قال–تعالى–: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال –تعالى–: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣] وقال رسول ﷺ: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا"[8].

١ينظر: شرح العقيدة الطحاوية صالح ال الشيخ ص١٩٦

٢ الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ص٧٧.

٣ينظر: الشفاعة، مقبل الوادعي، ص٧٣–١٢٣.

٤ أخرجه البخاري، برقم (٦٣٠٤).

٥ أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٣٦٤٩).

٦ أخرجه البخاري، برقم (٩٩).

٧ مجموع الفتاوى، للشيخ الإسلام ابن تيمية، (١١٦/١).

٨ أخرجه مسلم، برقم (١٩٩).

قال القرطبي(٦٧١ه): "مذهبُ أهل الحق أن الشفاعة حقٌّ، وأنكرها المعتزلة وخلدوا المؤمنين من المذنبين الذين دخلوا النار في العذاب، والأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أُمم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين ... فعلمنا بهذه الجملة أن الشفاعة إنما تنفع المؤمنين دون الكافرين، وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله -تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٤٨] النفس الكافرة لا كل نفس"[١]، وقال ابن جرير(٣١٠ه) في تفسير هذه الآية: "لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدًا الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ٨٧] في الدنيا ﴿عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٨٧] بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به"[٢].

وقال ابن القيم(٧٥١ه): "والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين، المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم، ويفوز بها الموحدون، وتَأَمَّلْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ -وَقَدْ سَأَلَهُ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ - قال: "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ "كَيْفَ جَعَلَ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا شَفَاعَتُهُ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ، عَكْسَ مَا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُنَالُ بِاتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ شُفَعَاءَ، وَعِبَادَتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فِي زَعْمِهِمُ الْكَاذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ سَبَبَ الشَّفَاعَةِ هُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، فَحِينَئِذٍ يَأْذَنُ اللَّهُ لِلشَّافِعِ أَنْ يُشَفِّعَ"[٣].

المبحث الثامن-الطمأنينة بمغفرة الله ورحمة الله وستره لعباده المؤمنين يوم القيامة:

إن من أعظم ما يبعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين لما بعد الموت؛ علمهم ويقينهم بأن الله -تعالى- يغفر لعباده المؤمنين، فمن أسمائه الحسنى -تبارك وتعالى-: الغافر والغفار والغفور، يغفر ما سلف من الذنب، ويستره على عبده المؤمن، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع له، وهو -سبحانه وتعالى- كثير المغفرة، تتكرر منه المغفرة لعباده المستغفرين مرة بعد مرة[٤]، كما أنه -تعالى-الرحمن الرحيم رحيم بعباده المؤمنين،

١ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٣٧٨-٣٧٩).
٢ تفسير الطبري (٦٣٢/١٥).
٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم (٣٤٩/١).
٤ ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص٤٦-٤٧.

فيقبل توبتهم، ويتجاوز عن تقصيرهم فلا يعذبهم، وهو –سبحانه– يستر عباده المؤمنين ولا يفضحهم. والإيمان بمغفرة الله –تعالى–ورحمته وستره للمؤمنين مما يبعث الطمأنينة في نفوسهم فلا يقنطون من رحمته –سبحانه وتعالى–؛ إذ يقول –تعالى–: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر : ٥٣] ويقول –تعالى–: ﴿وَرَحْمَتٌ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٩٦﴾ [النساء: ٩٦] ويقول –تعالى–: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠].

واقتران الرحمة بالمغفرة في هذه الآيات وغيرها، يفيد أنه سبحانه يغفر للمستغفرين والتائبين؛ لأنه واسع الرحمة، واسع المغفرة، قال تعالى–: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال –تعالى–: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال–تعالى–: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال –تعالى–:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧]

قال ﷺ: " لما قضى اللهُ الخلقَ، كتب في كتابِه، فهو عندَهُ فوقَ العرشِ: إنَّ رحمتي غلبتْ غضبَي"[١]. وفي رواية: "إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ"[٢].

وقال ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه:" يا ابنَ آدمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً"[٣].

وعن النبي ﷺ أنه قال: " إنَّ للَّهِ مئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ منها رَحْمَةً وَاحِدَةً بيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ علَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَومَ القِيَامَةِ "[٤].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قدم على النبي ﷺ سبي؛ فإذا امرأة من السبي قد تحلَّب ثديها تسعى، فإذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها، فأرضعته، فقال

١ أخرجه البخاري، برقم (٣١٩٤).
٢ أخرجه البخاري، برقم (٧٥٥٤).
٣ أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٤٠)، وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، برقم (٣٣٨٢).
٤ أخرجه مسلم، برقم (٢٧٥٢).

لنا النبي ﷺ: " أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ " قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: " لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[1].

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ الطويل: "فيقول الله عز وجل: شَفَعَت الملائكة، وشَفَع النبيُّون، وشَفَع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين، فيَقبِض قبضةً من النار، فيُخرِج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حُمَمًا، فيُلقِيهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيَخرُجون كما تخرج الحبَّة في حَمِيل السيل".[2]

ثم إن الله –تعالى–يستر عبده يوم القيامة ولا يفضحه؛ فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: "إنَّ الله يُدني المُؤمن فيضعُ عليه كنفه ويستُرُه، فيقولُ: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنب كذا؟ فيقولُ: نعم أي رب، حتى إذا قرَّره بذُنُوبه ورأى في نفسه أنَّه هلك، قال: سترتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأمَّا الكافرُ والمُنافقُون، فيقولُ الأشهادُ: هؤلاء الذين كذَبوا على ربِّهم، ألَا لعنةُ الله على الظَّالمين"[3].

فيجب على المسلم أن يبشر بهذا الفضل العظيم، ويؤمن أن الله –تعالى–يغفر الذنوب جميعا، ويرحم عباده المؤمنين، وأن يجمع بين الخوف والرجاء؛ فالله –تعالى–يقول: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩–٥٠] وأن يعمل بالأسباب المؤدية لمغفرة الله ورحمته، ومن ذلك:

–**التوحيد الخالص**، وإفراد العبادة لله وحده لا شريك له، قال–تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨] وعن النبي ﷺ، أنه قال لمعاذ: " يا مُعاذُ أتَدْرِي ما حَقُّ اللَّه علَى العِبادِ؟، قال: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قال: أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، أتَدْرِي ما حَقُّهُمْ عليه؟، قال: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قال: أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ "[4].

قال صالح آل الشيخ في شرحه على كتاب التوحيد، عن حديث أنس ﷺ المتقدم: " ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة، وهي: أنه من أتى بذنوب عظيمة، ولو كانت كقراب الأرض خطايا يعني كعظم وقدر الأرض خطايا، ولكنه لقي الله لا يشرك به شيئا: لأتى

١ أخرجه البخاري، برقم (٥٩٩٩).
٢ جزء من حديث أخرجه مسلم، برقم (١٨٣).
٣ أخرجه البخاري، برقم (٢٤٤١).
٤ أخرجه البخاري، برقم (٧٣٧٣).

الله ذلك العبد بمقدار تلك الخطايا مغفرة، وهذا لأجل فضل التوحيد، وعظم فضل الله جل وعلا على عباده بأن هداهم إليه، ثم أثابهم عليه"[1].

-التوبة والاستغفار وعدم الإصرار على الذنوب والمعاصى، قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه: ٨٢] وقال -تعالى-: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال -تعالى-: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١﴾ [النمل: ١١] وقال -تعالى-: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦] فالله -تعالى-وعد بهذا الفضل من تاب إليه وأناب؛ رحمة منه وفضلا، فليكثر المؤمن من التوبة والاستغفار، متأسيا بمن سبق من الصالحين، قال -تعالى-: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال -تعالى-: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٧] وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن أبا بكر ﷺ قال: "يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: "قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم".[2]

وعن عبد الرحمن بن جبير ﷺ قال: "أتى النبيَّ ﷺ شيخٌ كبير هرم، سقط حاجباه على عَينيه، وهو مدعم على عصًا -أي: متَّكئ على عصًا -حتى قام بين يدي النبيِّ ﷺ فقال: أرأيت رجلاً عمل الذنوبَ كلَّها، لم يترك داجة ولا حاجة إلاَّ أتاها، لو قسمَت خطيئتُه على أهل الأرض لأوبقَتهم-لأهلكَتهم -ألَه من تَوبة؟ فقال ﷺ: "هل أسلمتَ؟"، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسول الله، قال: " تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهنَّ الله لك كلهنَّ خيرات"، قال: وغدرَاتي وفَجراتي يا رسولَ الله؟ قال: "نعم، وغَدراتك وفجراتك"، فقال: الله

١التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص٢٩ .

٢ أخرجه البخاري، برقم (٨٣٤).

أكبر، الله أكبر، ثمَّ ادعم على عصاه، فلم يزل يردِّد: الله أكبر، حتى توارى عن الأنظار"[1].

قال ابن قتيبة(٢٧٦ه): "أراد أنَّه لم يدَع شيئًا دعَته نفسُه إليه من المعاصي إلاَّ ركبه"[2].

المبحث التاسع-الطمأنينة بما وُعد به المؤمن من أجور يوم القيامة:

من فضل الله -تعالى- على المؤمنين أن وعدهم بكتابة حسناتهم وحفظها لهم، يقول -تعالى-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] ويقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] وذلك لمجازاتهم عليها بعد موتهم كاملة دون نقص، بل وعدهم -تعالى- بمجازاتهم بأحسن أعمالهم، وبأنه سيضاعفها لهم أضعافا كثيرة، قال -تعالى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] قال-تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] وذلك مما تقر به عين المؤمن وتطمئن به نفسه؛ لأنه يعلم أن ما يعمله من خير سيكتب، ويحفظ له، ويجازى عليه، فالمؤمنون مستبشرون بذلك مطمئنون اليه: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٧١﴾ [آل عمران: ١٧١]

وقال تعالى: (وسوف يأت الله المؤمنين أجراً عظيما) (النساء: ١٤٦) وقال تعالى: (لهم أجر غير ممنون) (الانشقاق ٢٥) والقرآن والسنة مليئان بالأدلة التي تبين الأجور المختلفة التي رتبها الشارع على فعل الطاعات واجتناب المعاصي، وعلى أعمال الخير والبر والصلة المختلفة،

ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾ [آل عمران: ٥٧] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢﴾ [النساء: ١٥٢] قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧٣﴾ [النساء: ١٧٣] وقوله -تعالى-: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ

---

١ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم (٧٢٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٣١٦٤).

٢ غريب الحديث، الخطابي (٢٥٤/١).

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة: ١١٢] وقوله –تعالى–:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧] وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦] وقوله –تعالى–:﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٩﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقوله –تعالى–: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٤﴾ [النساء: ١١٤] وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦] وقوله–تعالى–: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: ١٦٢].

وقوله –تعالى–: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧]

وقال ﷺ:" ما من عبدٍ مسلمٍ يصلِّي للهِ –تعالى–في كلِّ يومٍ ثِنْتي عشرةَ ركعةً تطوُّعًا غيرَ فريضةٍ إلا بنى اللهُ –تعالى–له بيتًا في الجنَّةِ، أو: إلا بُنِيَ له بيتٌ في الجنَّةِ "[1]. وقال ﷺ: "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة، يريد عينيه"[2].

ويدخل في ذلك أجر ما فات المؤمن من حظوظ الدنيا، وما لحقه فيها من بؤس وألم، قال ﷺ: "يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ"[3].

١ أخرجه مسلم، برقم (٧٢٨).
٢ أخرجه البخاري، برقم (٥٦٥٣).
٣ أخرجه مسلم، برقم (٢٨٠٧).

وقال ﷺ: "يقول الله -تعالى-: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ"[1].

المبحث العاشر-الطمأنينة بوعد الله للمؤمنين بدخول الجنة، والتلذذ بما فيها من نعيم مقيم:

الجنة دار الكرامة التي أعدها الله -تعالى-لعباده المؤمنين، وهى حق موجودة مخلوقة الآن، وقد أجمع السلف الصالح على ذلك[2]، قال -تعالى-:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال النبي ﷺ:" لقيت إبراهيمَ ليلةَ أُسْريَ بي فقال: يا محمَّدُ: أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ، وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أكْبرُ"[3].

وإن أعظم ما تطمئن به نفوس المؤمنين لما بعد الموت ما وعدهم به الله -تعالى-فى كتابه وفى سنة نبيه من دخول الجنة، والتنعم بما فيها، قال -تعالى-: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال-تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨] وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨﴾ [الطور: ١٧-١٨]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٣٤﴾ [القلم: ٣٤]

وقد وصف الله -تعالى- الجنة لعباده؛ ليطمعوا بها، ويشمروا فى طلبها، وتطمئن نفوسهم بما سيلقونه بعد موتهم، قال-تعالى-: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [محمد: ١٥] وقال -تعالى-: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزخرف: ٧١] وقوله:

---

١ أخرجه البخاري، برقم (٦٤٢٤). والصفي: المصطفى كالولد، والأخ وكل محبوب مؤثر. كشف المشكل، ابن الجوزي (٥٣٣/٣).

٢ ينظر: مراتب الإجماع لابن حزم (١٧٣)، وينظر: قول أهل السنة في مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٩)، الشريعة للآجري (٣/ ١٣٤٣)، يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، صديق حسن خان، ص٣٥.

٣ أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٥٥٠).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨﴾ [العنكبوت: ٥٨] وقال–تعالى–: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥﴾ [الروم: ١٥] وقال–تعالى–: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾ [الشورى: ٢٢] وقال–تعالى–: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾ [الشورى: ٢٢] وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "قال الله –تعالى–: أعددت لعباديَ الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٧]"[1].

فإذا دخلوها واستلذوا بما فيها من النعيم المقيم؛ فإنهم لا يرغبون عنها تحولا، ولا منها ارتحالا، قال –تعالى–واصفا حالهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧–١٠٨]

وإن أعظم نعيم أهل الجنة، والغاية القصوى والدرجة العليا من نعيمها، رؤية وجه ربهم الكريم جل جلاله، قال–تعالى–:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة: ٢٢–٢٣] وقال–تعالى–: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ﷺ: "إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله –تبارك تعالى–: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّضْ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيُكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"، وفي رواية: وزاد ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦] "[2].

وإن أقلّ أهلها منزلة من يكون له فيها عشرةُ أمثالِ أعظمِ مُلوكِ الدُنيا، لقول النبيّ ﷺ: "سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قال: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقال له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقال له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ:

---

١ أخرجه البخاري، برقم (٤٧٧٩).

٢ أخرجه مسلم، برقم (١٨١).

رَضيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقال في الخامسَة: رَضيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثاله، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضيتُ رَبِّ، قال: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قال: أُولَئكَ الَّذينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، قال: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ} [السجدة: ١٧] الآيَةَ"[١].

فعلى المؤمن أن يتصف بصفات أهل الجنة حتى يدخلها قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩] ، وقال-تعالى-: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]

وقال رسول الله ﷺ: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"[٢].

فالإيمان والتوحيد الخالص لله -تعالى-، وامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، والتخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة؛ هي أسباب الفوز بالجنة والنجاة من النار، بعد رحمة الله -تعالى-، وإذا التزم المؤمن بذلك، وحسن يقينه بالله تعالى؛ وبأنه تعالى لا يضيع أجر العالمين، ولا يظلمهم، ولا يخلف لهم وعده، كان ذلك باعثا لأكبر درجات الطمأنينة في الدنيا، وسد المؤمن بذلك المنافذ على الشياطين والخواطر الفاسدة، وعاش في الحياة الدنيا سعيدا، قرير العين، راجيا لما وعده به ربه بعد موته على لسان رسله، مطمئنا به، والحمد لله رب العالمين.

---

١ أخرجه مسلم، برقم (١٨٩).

٢ أخرجه البخاري، برقم (٣٤٣٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي امتن عليّ بإتمام هذا البحث، الذي وجدت أثره في نفسي وأنا أخط مباحثه، وآمل من الله تعالى أن ينتفع به قارئه، وأصلي وأسلم على الرسول الكريم محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد كان من نتائج هذا البحث ما يلي:

١-أن ما بعد الموت في الإسلام واضح وضوحا تامًا في الكتاب والسنة، لا لبس فيه ولا ريب.

٢-أن من نعم الله -تعالى-على عباده المؤمنين أن بين لهم ما تطمئن به نفوسهم، وما تقر به أعينهم مما يكون لهم من فضل ربهم وعطاءه بعد موتهم.

٣-أن الكتاب والسنة مليئان ببواعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين لما بعد الموت.

٤-أن هذه البواعث أتت في سياقات تبين لمن تكون ومن أسعد الناس بها، وما هي شروط استحقاقها، وعلى رأس ذلك الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.

٥-أنه يجب على المؤمن ألا يقنط من رحمة الله -تعالى-وأن يستبشر، وأن ينزل الخوف من الموت منزلته الطبيعية التي تجعله يدين نفسه ويمتثل أمر الله -تعالى-ويجتنب نواهيه.

وفي الختام، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه، وأسأل الله -تعالى-أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأنا ينفعني وينفع المسلمين به إنه سميع الدعاء، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، المؤلف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الكتاب مرقم آليا، دروس مفرغة، بدون معلومات طباعة.
- الإيمان باليوم الآخر، محمد الحمد، نسخة الكترونية، دون معلومات طباعة.
- الإيمان باليوم الآخر، وأثره على الفرد والمجتمع، رسالة: ماجستير في العقيدة بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان في السودان، إعداد: مازن بن محمد بن عيسى، إشراف: د صلاح إبراهيم عيسى، العام الجامعي: ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- تفسير (الحجرات – الحديد)، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت ١٤٢١ هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.
- تفسير أسماء الله الحسنى، المؤلف: إبراهيم أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ -٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر -د عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٩ هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول اللَّه -ﷺ-، المؤلف: أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ -٤٦٣ هـ)، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، وآخرون، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ -٢٠١٧ م
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ -١٩٦٤ م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون معلومات طباعة.
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط -محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م.
- سنن الترمذي، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
- شأن الدعاء، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤ م، الثالثة، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.
- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (ت ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ.
- الشفاعة، المؤلف: مُقْبِلُ بنُ هَادِي الهَمْدَاني الوادعِيُّ (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: دَارُ الآثَار للنشر وَالتوزيع، صَنعاء – اليمن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.
- صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) -دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
- صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، دون معلومات طباعة.

- صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها، عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م.
- العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي(ت ١٤٤١ هـ)، الناشر: دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ –١٩٨٢ م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)، الناشر: دار المعرفة –بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فلسفة الكارما وموقف الإسلام منها، مريم الحوشاني، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٨، عدد يناير–مارس٢٠٢٢.
- كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.
- كشف المشكل، ابن الجوزي، دار الوطن –الرياض، دون ذكر رقم الطبعة وتأريخها.
- اللطائف والطب الروحاني، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، نسخة الكترونية، دون معلومات طباعة.
- مجموع الفتاوى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف –المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ –٢٠٠٤م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ -٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥ م.
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، دون تاريخ طباعة.
- مفهوم الأسماء والصفات، المؤلف: سعد بن عبد الرحمن ندا، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، ورقم الجزء هو رقم العدد من المجلة.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)،
- المنهاج في شعب الإيمان، المؤلف: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (ت ٤٠٣ هـ)، المحقق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م.
- موسوعة فقه القلوب، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، بدون تاريخ طبعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- هل افتدانا المسيح على الصليب؟ المؤلف: منقذ بن محمود السقار، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م.